أسرار العبقرية

ألفه وكتبه / عبدالله خضر عبدالله

عبقريات كثيرة ظهرت في البشرية ، ألهمت من لدن حكيم خبير ، إلى أناس قدّر مقدر الأقدار أنهم سينفعون البشرية بعمل أو علم ! .

هؤلاء العباقرة يُرى أنهم مع البشر كجزء منهم كأنهم معهم ككيان إنساني ! ، ولكن الحقيقة أنهم معهم جسداً أرضياً فقط ! ، في حين يُعتقد أن باقي كيانهم ليس في هذا العالم ، حقيقة لامجازاً !! .

الشخص العادي يرى فيما قلت نوعاً من المبالغة أو شيئاً من التضخيم المعنوي ! ، ولكن الحقيقة أن الشخص العادي التفكير المتأثر بالعادات والتقاليد جداً ؛ طاقته الفكرية محدودة ؛ تحددها معطيات المجتمع وأنماط التقاليد التي عفا عليها الزمن ، إذ هي مجموعة من القوانين " الإجتماعية " وليست " الدينية " ، وللعلم والدين سلطة فكرية وروحية أقوى منها ! ، لذلك فإن العادات والتقاليد النمطية لاتؤثر فكرياً وروحياً على الشخص العبقري مثلما تسيطر على الشخص العادي في فكرته ونظرته للأمور ! .

ليس نقداً أن يكشف الغطاء عن الجانب المظلم لتأثير العادات والتقاليد الإجتماعية في فكر البشر ، إذ هي كثيراً ما تجمّد الفكر ، وتجعل المتعلق بـــــــها ينسى شيئاً إسمه " الإبداع والتجديد " ! ، لذلك كان من عدل خالق البشر وسمو حكمته أن جعل في البشر هذا النوع منهم الذين يقال لهم : " العباقرة " ! .

الكلام على العبقرية كتاب بأكمله ؛ لما فيها من عموم وخصوص وتشعّب وعلاقات معنوية معقدة وشبه معقدة مع أمور شتى عقلية وروحية ونفسية ! ، ويمكنني أن أقول هنا أن العبقرية والعبقري هما شيء واحد وروح واحدة تجسّد أموراً عجيبة فوق طاقة الفكر العادي بواسطة مواهب خلاقة خُلقت لأجل ذلك ، ولابدّ لها من ذلك ! .

العباقرة الذين نسمع عنهم أو نقرأ سيرهم وكذلك الذين لانعلمهم يصعب عليهم أن يخبروك بماذا يشعرون عندما تسيطر عليهم عبقريتهم وتدفعهم بدون إختيار منهم إلى إخراج شيء جديد أو غريب في دنيا البشر ! ، شيء لامفهوم خامر تفكيرهم وأحاسيسهم ودفعهم بدون شعور – غالباً – إلى فعل شيء لم يتوقعوه هم أنفسهم ! ، يال هذه اليد الخفية الحكيمة التي تؤثر على العباقرة في فعل لهم أو قول !! .

وفي نظرة فاحصة على الشخص العبقري تدرك بالفطرة أنه لم يُخلق لأمـــور عادية ! ، هنالك قدر في حياته لابد له من إنفاذه – بعلمه أو بدون علمه – في دنيا العلم المتسعة الأرجاء جداً ! ، لابد له أن يضع لمساته في هذه الدنيا العجيبة التي لايبنيها إلا العلماء والعباقرة ! .

كم يرحب العلم بالشخص الذي من هذا النوع ، وكم هوَ ميسرٌ لِمَا خُلِقَ له في حياته ، وكم هي الأمور التي تجري على يديه تأكيداً لِمَا قُدّر وكُتب منذ أزل الخلق ! .

هنالك أمور تحدث في حياة الناس لها رجالها الذين يفهمونها ويتعاملون معها حسب درجة غرابتها ، ولهم " قدرة مّا " أودعها الله فيهم في التصرّف بها كما شاءت المشيئة ! .

ليس كل شيء في العالم هو عادي ! ، فلو كان عالم البشر كله عادياً نمطياً لما وُجِدت الأيات الخَلقِية والقصص العجيبة ؛ ولما ورد في قواميس اللغة مفردة " عجيب " ومشتقاتها ومترادفاتها ! ؛ ولما عرف الإنسان شيئاً من معنى القدرة الربانية ! .

والعبقري لايفهمه تماماً إلا عبقـــرياً مثله أو دونه أو فوقه ، ذكر أو أنثى ، ولك أن تتعجب إذا عرفت أن العبقري لايـــكتشف نفسه حقيقة إلا بعد أن يعبر نصف الطريق ! ، ففي بدايات أمره لايعرف نفسه ، تجده تلقائياً أو عفوياً ، لايدري عن الكنز الذي في داخله ! ، لايدري ذلك إلا بعد أن يرى الغير ينبهرون منه ويتعجبون من شخصه وينشرون أعماله وإنجازاته على الملأ !! .

العبقرية والعلم كالضوء وظله ، ولابد أن يقترنا بالرفعة ، والكل منهم فيه عامل الموهبة التي لايستطيع بشر منعها عمن شاء تعالى أن يفعل بواسطتها أمراً ! .

وأخيراً فإني لم أقل هذا الكلام إلا مما رأيته وجربته وألهمته عن عالم العباقرة العجيب ! ، وأنا موقن أن هنالك الغير عادي بعد العادي ، وسبحان الذي قدر فهدى .

(وجه آخر)

. . . . وكما ذكِرَ عن هذه الصفة البشرية العجيبة ، فإنك تتحير إذا عرفت أنها ليست حكراً على العلماء العباقرة وحدهم ، بل هي صفة وهبية ربانية يهبها الرب تبارك وتعالى لمن إختاره لها ! ، وهذا يعني أن فيها جانباً غامضاً لامفهوماً وخارج عن النطاق العقلي أو الفكري المعتاد ! .

هذا الجانب الغامض للعبقرية يظهر في مثل المثالين الآتيين :

1 – رئيس أو حاكم لدولة أو إقليم :
مثل الصحابي الجليل ، الخليفة الراشد الثاني " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ، حيث قُـدِّر له أن يدير – في بدايات دولة الإسلام – شبه إمبراطورية إسلامية ضخمة بصلابة نفس وثبات قلب وأحوال وهبية تثير الإعجاب والتقدير ، أسس فيها الأسس التي قوّت شوكتها ونهضت بأمة الإسلام عالياً حتى صارت بعد ذلك إمبراطورية عريضة كبرى لأرفع أمة من الأمم عرفها التاريخ ، قامت على الحق والعدل ، توزعت بين ثلاث قارات العالم القديم ! .

2 - قائد حربي موهوب :
مثل بطلنا الإسلامي العظيم " خالد بن الوليد " رضي الله عنه .
ومثل من سار حذوه الداهية " عمرو بن العاص " رضي الله عنه .
ومثلهم وغيرهم في صفحة تاريخنا الإسلامي المجيد .

وغير ذلك في مختلف حوادث التاريخ الأخرى في حروب عالمية .

أما على صعيد حاضرنا المعاصر فهناك العديد من الأمثلة :

فمثلاً :

تجد في لوحةٍ لرسامٍ تكوين تشكيلي عجيب مبهر يخامر الأحاسيس ، يدفع فكر الشخص إلى الحيرة من كيفية رسمها ، ويتساءل في قرارة نفســـه كيف رسمها هذا الرسام ، أو ماهي العوامل التي أثرت عليه فكرياً ونفسياً فـــي إبداعها ! .

وأيضاً تجد أديباً موهوباً يبدع قصة أو مجموعة قصص ، ويصوغ أفكارها العلمية أو الأدبية في قوالب الكلمات ، ليصل بها إلـــــــى أفكار الملايين بأسلوب روائي رائع ومشوّق يصل إلى حدّ الإعجاز والإبهار !! .
" تحية خاصة إلى الكاتب الأديب المبدع د.نبيل فاروق ،
والأدباء المتميزين في أنحاء العالم العربي " .

وهنالك آخر يؤلف مقطوعة موسيقية تتغلغل في مكانين الأحاسيس ، كأنها تحكي بألحانها فصلاً عجيباً من كلام النفوس ولغات المشاعر !! .

وكذلك بعض مخرجي الأفلام السينمائية ، الذي يحبكون أحداث الفيلم بترابط عجيب وتدرّج مدروس وحس إجتماعي فائق ، ويُخْرِجون إلى أبصار المشاهدين تحفة سينمائية يتيمة قد لاتُنسى طويلاً في الأذهان والعقول !! .

ولا ننسى مهندسين ومعماريين خطت أقلامهم وأوراقهم أعجب التصاميم وأروع المشاريع العمرانية والأبنية العملاقة أو الفاخرة ؛ التي فيها ماهو خارج عن إختصاصاتهم الأكاديمية ، والتي يندر أن يتكرر نوعها ! .

هذه الأمثلة عن " العبقرية غير العلمية " هي قليل من كثير ، ويحتاج الكلام عنها صفحات وصفحات ! .

ونلاحظ في هذه الأمثلة القليلة وجود عوامل وهبية غريبة في مثل هذا النوع من العبقرية تتجاوز في كثير من الأحيان المعارف العلمية الأكاديمية ! ، كما نلاحظ أن أكثرها هو فوق طور الفهم البشري العادي .

خاتمة

إذن الحديث عن " كُـنـْهِ " العبقرية بأنواعها قد لاينتهي ، إذ هي دائماً تتجاوز المعتاد في أوضاعها المختلفة ، وتحير العقول ، وتبهر الألباب ، وتشير بقوة الى وجود عوامل غامضة وأحوال سمائية مشيئية لهذا النوع من البشر ! ،
والله اعلم بأسرار خلقه .

ألفه وكتبه / عبدالله خضر عبدالله

.